

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٣٦٦ : خ ١ - حديث شريف (إن الله تعالى يحب الناسك النظيف) ،
خ ٢ - دلالة إلهية عن طريق النبي على أعمال إذا فعلتها أحبك الله .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩١-١٠-٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي
ولا اعتصامي ولا توكلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً
بربوبيته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله
سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذنً بخبر ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على
سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى نزيته ومن والاه ، ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم
ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على
كل شيء قدير ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا
اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ،
وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الله تعالى يحب أن يرى جمال عبده الباطن و الظاهر :

أيها الأخوة الأكارم ؛ في الخطبة السابقة بدأنا موضوعاً منتزِعاً من كتاب الجامع الصغير في
أحاديث البشير النذير ، وهذا الكتاب رتبت أحاديثه بحسب الكلمات والحروف ، فتأتي موضوعات
عدة متتابعة ، اخترت لكم في الأسبوع الماضي من بين هذه الأحاديث طائفةً من الأحاديث تبدأ
بقول النبي عليه الصلاة والسلام : " إن الله تعالى يحب " .
وكلمة محبة الله عز وجل فسرتها في الخطبة السابقة بأن الإنسان إذا فعل معالي الأمور ، وابتعد
عن سفاسفها ، كبر في عين الله عز وجل ، وحفظه الله ، ورحمه ، وأسعده في الدنيا والآخرة .
نتابع هذا الموضوع ولا زلنا في الأحاديث الشريفة التي تبدأ بقول النبي عليه الصلاة والسلام : "
إن الله تعالى يحب " ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((إن الله تعالى يحب الناسك النظيف))

[الخطيب عن جابر تصحيح السيوطي : ضعيف]

الناسك ؛ هو المتعبد ، المتعبد ؛ هو القائم بأوامر الله ، المجتنب لنواهيه ، المطبق لتوجيهاته ،
النسك العبادة ، الناسك العابد ، لكن هذا الناسك قيده النبي عليه الصلاة والسلام بأنه النظيف ،
وقال شراح الحديث : نظيف البدن ، نظيف الثوب ، نظيف المكان ، نظيف البيت ، نظيف مكان
عمله ، إن الله تعالى يحب الناسك النظيف ، وأضاف شراح الحديث نظافة القلب من الضغن ،

والحقد ، والكبر ، وحب الذات ، هناك أمراض تصيب القلب ، وهناك دنايا تلحق بالنفس ، فحينما قال عليه الصلاة والسلام :

((إن الله تعالى يحب الناسك النظيف))

ذكر النظيف مطلقة من دون قيد ، إذاً نظيف القلب ، نظيف اليد ، نظيف اللسان، نظيف البدن ، نظيف الثوب ، نظيف المسكن . قال العلماء : إن الله سبحانه وتعالى كما يحب أن يرى جمال عبده الباطن ، يحب أن يرى قلبه ورعاً ، متعافياً ، كريماً ، منصفاً ، متواضعاً ، يحب أن يرى جمال عبده الظاهر ، لذلك ورد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((أحسنوا لباسكم ، وأصلحوا رحالكم ، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس))

[رواه الحاكم عن سهل بن الحنظلية ، تصحيح السيوطي : صحيح]

وقد ورد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يرتدي أجمل ثيابه يوم الجمعة، وفي الأعياد ، وفي استقبال الوفود ، وكان عليه قومه يفعلون ذلك ، أي إهمال المظهر ، إهمال النظافة ، ليس من الدين في شيء ، بل إن الدين يحارب هذا السلوك ، الذي يعطي فكرة لا ترضي عن الدين .

التَّجَمُّلُ الْمَبَاحُ :

أيها الأخوة الأكارم ؛ هناك جمال في الظاهر مذموم ، وهناك جمال في الظاهر مرغوب ، وهناك جمال لا مذموم ولا مرغوب ، فمن حسن مظهره ، وجمل ثيابه ، واعتنى بشكله وأناقته ، بغية أن يستعين بها على طاعة الله ، وألا يكون في موضع صغير أمام الناس ، فهذه طاعة عليها ثواب ، وهناك تجمل مذموم أن يقصد بهذا التجمل الكبير ، والعلو في الأرض ، أما إذا خلا التجمل من القصدين معاً فهو تجمل المباح ، لا مذموم ولا مرغوب ، لكن أنت كمؤمن تمثل هذا الدين ، فإذا كان في مظهرك خلل أو في ثيابك دنس أو في مظهرك العام ما ينفر ، سببت لضعاف الإيمان أن ينفروا من الدين ، فلذلك قال بعض الشعراء :

حسن ثيابك ما استطعت فإنها زين الرجال بها تعز وتكرم
ودع التواضع في الثياب تخشناً فالله يعلم ما تسر وتكتم
فرثاث ثوبك لا يزيدك رفعة عند الإله وأنت عبد مجرم
وجديد ثوبك لا يضرك بعد أن تخشى الإله وتتقي ما يحرم

* * *

أيها الأخوة الأكارم ؛ عودة إلى نص الحديث الشريف : " إن الله تعالى يحب الناسك النظيف " وإذا شئت أن تتوسع في كلمة نظيف ، نظيف في قلبه ، نظيف في لسانه ، نظيف في يده ، نظيف بالمعنى المادي في بدنك ، في ثيابك ، في مسكنك ، وفي مركز عملك.

إن الله يحب من وسع عليه أن يوسع على عياله و أقربائه :

أيها الأخوة الأكارم ؛ والنبي عليه الصلاة والسلام يحب أهل البيت الخصيب ، ومعنى الخصيب كثير الخير ، فصاحب البيت إذا وسّع الله عليه ، يحب الله عز وجل أن يوسع على عياله ، وعلى جيرانه ، وعلى ذوي قرابته ، وعلى ذوي الحاجة ، هذا معنى قول النبي :

((إن الله تعالى يحب أهل البيت الخصيب))

[رواه ابن أبي الدنيا في قرى الضيف عن ابن جريج معضلاً]

صاحب البيت إذا وسع الله عليه ، فأنه يحب منه أن يوسع على عياله ، وأن يوسع على جيرانه ، وعلى ذوي قرابته ، وعلى ذوي الحاجة .

الله تعالى يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال :

أيها الأخوة الأكارم ؛ والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((إن الله تعالى يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال))

[رواه الديلمي في مسند الفردوس عن علي ، تصحيح السيوطي : ضعيف]

الدخل الحلال يعني أن هناك عملاً مشروعاً تعمله ، وتكسب منه الدخل ، وكل عمل مشروع في أصله نفع للمسلمين ، حينما تعمل عملاً مشروعاً ، وتأخذ رزقاً حلالاً طيباً من هذا العمل ، فعملك في أصله فيه نفع للمسلمين ، إن الله تعالى يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال ، ولحكمة أرادها الله عز وجل أن كسب المال الحرام يسير ، وأن كسب المال الحلال يحتاج إلى تعب كثير ، لو أن الحرام يأتي صعباً ، والحلال يأتي سهلاً لأقبل الناس على الحلال لا حباً بالحلال ، ولا حباً بالله عز وجل ، ولا طلباً للثواب ، ولا ابتغاء أن يصلوا إلى الجنة ، بل ابتغاء أن يصلوا إلى مصالحهم بأيسر طريق ، ولكن حكمة الله التي جعلت من الدنيا دار بلاء ، ودار امتحان ، جعلت كسب المال الحلال صعباً ، وربما كان كسب المال الحرام سهلاً ، فلذلك : إن الله تعالى يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال ، الحلال قبل كل شيء فيه نفع للمسلمين ، لا يكون الرزق طيباً إلا من عمل حلال ؛ من حرفة ، من زراعة ، من صناعة ، من تجارة ، من خدمات تؤدي للمسلمين ، ما من رزق حلال إلا بسبب عمل حلال مشروع ، وكل عمل مشروع في أصله نفع للمسلمين ، فمن نفع المسلمين بصناعته ، أو بزراعته ، أو بتجارته ، أو بعلمه ، أو بخبرته ، أو بطبه ، أو بفهمه ، أو ما إلى ذلك ، فقد نفع المسلمين .

فوائد الكسب الحلال :

شيء آخر : طلب الحلال أيها الأخوة ، أو التعب في طلب الحلال ينفي عن النفس أكبر أمراضها ، وهو اللهو والبطالة ، من لوازم البطالة اللهو ، ومن لوازم اللهو الفسق والفجور ،

بطالة ، لهو ، فساد ، فأى بطالة تؤدي إلى اللهو ، ومع اللهو المعصية ، فمن بات تعباً في طلب الحلال نفى عن نفسه البطالة ، ونفى عن نفسه اللهو ، ونفى عن نفسه ما يرافق اللهو من معصية وفجور ، ومن كان تعباً في طلب الحلال كسر نفسه وأبعدها عن الطغيان والترفع ، ومن طلب الحلال تعباً فقد تعفف عن ذلّ السؤال ، هذه كلها فوائد الكسب الحلال ، الكسب الحلال يبعدك عن ذلّ السؤال ، والكسب الحلال يبعدك عن طغيان النفس ، الإنسان إذا لم يعمل ، وأخذ المال بسهولة، لا قيمة لهذا المال عنده ، ينفقه بطيش وفساد رأيي ، وعندئذ يستعلي على الناس ، إنفاق المال من دون كسب يجعل في النفس استعلاء على الناس ، إذا طلب المال الحلال فيه نفع للناس ، وفيه سلامة من اللهو والبطالة والفساد ، وفيه بعد للنفس عن طغيانها واستعلائها ، وفيه تعفف عن ذلّ السؤال .

الرزق من الله تعالى لا من سعي الإنسان :

ولكن هناك شرطاً أيها الأخوة هو أن تعتقد أن الرزق لا من سعيك إنك مأمور بالسعي ، ولكنه من الرزاق ، ولكن الرزق من الرزاق ، فإذا اعتقدت أنك بعملك وسعيك وجهدك ودأبك تكسب المال فقد أشركت بالله وأنت لا تدري ، ورد في بعض الأحاديث : عن عمر رضي الله عنه قال :

((إني لأرى الرجل فيعجبني ، فأقول : له حرفة ؟ فإن قالوا : لا ؛ سقط من عيني))

[رواه الدينوري عن عمر]

بعض العلماء أعطى الاحتراف حكم الوجوب ، أي أنت مفروض عليك أن تطلب الحلال بعرقك ، بكذك وعرق جبينك ، لماذا ؟ ما التعليل ؟ لأنك مطالب أن تعبد الله عز وجل ، ولن تستطيع أن تعبدته إلا إذا وفرت لجسمك حاجاته الأساسية ، ولن تتوافر هذه الحاجات الأساسية إلا من خلال كسب الرزق ، فما لا يؤدي الواجب إلا به فهو واجب ، أما إذا كنت عالة على الناس ، حينما دخل النبي عليه الصلاة والسلام ورأى رجلاً يصلي في المسجد سأله من يطعمك ؟ قال : أخي ، قال : أخوك أعبد منك ، ما دمت أمرت أن تعبد الله ، وأن تؤدي ما افترض عليك ، فأنت لن تقوى على عبادة الله وعلى طاعته إلا إذا تناولت الطعام ، ولبست الثياب ، وأويت إلى مسكن ، وكان لك زوجة وأولاد ، إذا ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، هذا ما دعا العلماء إلى أن يقولوا : إن الاحتراف واجب ، بل إن العبادة تحتاج إلى حاجات أساسية لا يوفرها إلا كسب الرزق الحلال .

أيها الأخوة الأكارم ؛ يقول بعضهم : من تعطل ، أو تبطل ، انسلخ من الإنسانية وانسلخ من الحيوانية ، لأن أكثر الحيوانات تسعى لكسب رزقها ، وأصبح من جنس الموتى ، وأصبح عبئاً على الناس ، وعالة عليهم ، وأصبح ينظر من منظار في برج عاجي .

أيها الأخوة الأكارم ؛ يتم هذا الحديث قول النبي عليه الصلاة والسلام :

((إن الله تعالى يحب العبد المؤمن المحترف))

[رواه الحكيم والطبراني والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما تصحيح السيوطي : ضعيف]

يؤكد هذا قول الإمام علي كرم الله وجهه : " قيمة الرجل ما يحسنه " ليكون المسلم علماً ، ليكون المسلم في موطن إكبار من قبل الناس ، لتكون يد المسلم هي العليا ، وليست هي السفلى ، ليكون المسلم داعية إلى الله بعمله ، فضلاً عن قوله ، ليكون المسلم في موضع تنظر إليه العيون بإكبار ، لا بد من أن يكون له حرفة وأن يتقن هذه الحرفة لتكون هذه الحرفة سبيلاً له إلى تعريف الناس بحقيقة الإسلام .

أيها الأخوة الأكارم ؛ الاحتراف لا يتناقض مع التوكل ، لأن عمر رضي الله عنه عملاق الإسلام ، حينما رأى قوماً يتكفون الناس ، قال : من أنتم ؟ قالوا : نحن المتوكلون ، قال : كذبتم؛ المتوكل من ألقى حبة في الأرض ثم توكل على الله ، والشيء الثابت هو أن التوكل مكانه القلب ، وأن السعي مكانه الجوارح ، فمن توكل بجوارحه فترك العمل ، وسعى بقلبه فقد وقع في تناقض كبير ، التوكل محله القلب .

أيها الأخوة الأكارم ؛

((إن الله تعالى يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال))

[رواه ابن ماجه عن عمران تصحيح السيوطي : حسن]

أي المؤمن تحبه غنياً ، وتحبه فقيراً ، تحبه صحيحاً ، وتحبه مريضاً ، لأن المؤمن يقع في المكان الكامل في كل أحواله ، فقال عليه الصلاة والسلام : " إن الله تعالى يحب عبده المؤمن الفقير - لكن أي فقير ؟- المتعفف - والمتعفف الذي يجتهد ، ويبالغ في إظهار عفته وتجمله وترفعه عن أموال الأغنياء - إن الله تعالى يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال " لماذا ؟ لم يقل النبي : إن الله تعالى يحب الفقير المتعفف لأن الفقير من دون إيمان لن يتعفف ، سيبذل ماء وجهه رخيصاً ، سيتضعضع أمام الأغنياء ، سيكثر من الشكوى ، سيجعل من نفسه متسولاً ، أما المؤمن إذا كان فقيراً ، بذل كل جهده ، وسعى كل سعيه ، وشاء الله له أن يكون كذلك ، ولا حيلة له ، فسيتخلق بالأخلاق التي ترضي الله من الفقراء ، ما الأخلاق التي ترضي الله من الفقراء ؟ قال : التعفف ، والتعفف المبالغة في العفة عن سؤال الخلق مع وجود الحاجة ، لأن المؤمن تعلق بصيرته بالخالق دون الخلق ، وبالرزاق دون الرزق ، فهو إلى المنعم ينظر لا إلى النعمة ، فهذه النظرة العميقة جعلته متعففاً ، وقد قال عليه الصلاة والسلام :

((مَنْ تَوَاضَعَ لِغَنِيِّ لِأَجْلِ غِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثًا دِينَهُ))

[رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه]

لذلك يندب من الفقير أن يظهر التجل والتعفف ، وألا يظهر الشكوى والفقير ، وقد وصف الله تعالى الفقراء الذين يستحقون العطاء :

﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾

[سورة البقرة : ٢٧٣]

لذلك قال بعض العلماء : من آداب الفقير ألا يتواضع لغني بسبب غناه ، إذا تواضع لغني بسبب أخلاقه العلية لا يوجد مانع ، إذا تواضع لغني بسبب تقواه لا يوجد مانع ، إذا تواضع لغني بسبب علمه لا مانع ، أما أن يتواضع الفقير للغني بسبب وحيد وهو أنه غني فهذا مما نهى عنه أهل الفقه ، لذلك قال الإمام علي كرم الله وجهه : " تواضع الغني للفقير رغبة في الثواب حسن ، لكن تيه الفقير على الغني ثقة بما عند الله أحسن ". إن الله تعالى يحب عبده المؤمن الفقير ، أنا لئلا يفهم الحديث على نحو ما أراده النبي عليه الصلاة والسلام ، الفقير الكسول هذا مذموم ، لكن هناك حالات يسعى الإنسان جهده ، يبذل كل طاقته ، فلا يصل إلى مبتغاه ، ويبقى فقيراً ، معنى ذلك أن حكمة بالغة وراء هذا الفقر ، فإذا كان مؤمناً وشاءت الحكمة الإلهة أن يكون كذلك ، فأخلاق الفقير التي يحبها الله عز وجل هي التعفف ، والتجل ، ألم يقل سيدنا عمر لهذا الأعرابي : بعني هذه الشاة وخذ ثمنها ؟ قال : والله إنني في أشد الحاجة إلى ثمنها ، ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقتني ، فإني عنده صادق أمين ، ولكن أين الله ؟ هذا التعفف ، ليس معنى التعفف أن تكون لست بحاجة ، أنت في أشد الحاجة ، وفي أمس الحاجة ، ولكنك تثق بالله عز وجل ، ولا تحب أن تبذل ماء وجهك لمن يشمت بك ، ولمن يزرى بإيمانك ، فتعفت وتجلت ، وهذا مما يرضي الله عز وجل .

محبة الله عز وجل للقلب اللين كثير العطف و الرحمة :

أيها الأخوة الأكارم ؛

((إن الله تعالى يحب كل قلب حزين))

[رواه الطبراني والحاكم عن أبي الدرداء رضي الله عنه تصحيح السيوطي : حسن]

هذا الحديث الشريف يحتاج إلى توضيح طفيف ، معنى القلب الحزين في هذا الحديث القلب اللين ، كثير العطف والرحمة ، القلب المنكسر من خشية الله ، القلب المهتم بأمر دينه ، خائف من تقصيره ، لا يدري ما مقامه عند الله ، أراض عنه الله أما ساخط ؟ يخشى على دينه أن يمسه شيء ، يخشى أن يكون غير ورع ، يخشى أن يكون مقصراً ، القلب الحزين أي يخاف من حساب الله عز وجل ، يخاف ألا يكون مرضياً عند الله ، يخاف أن يكون في إيمانه خلل ، أن يكون في استقامته تقصير ، هذا الخوف على مكانة العبد عند ربه هو خوف مقدس ، يحب الله

عز وجل ، لذلك معنى القلب الحزين ليس حزيناً على الدنيا ، النبي عليه الصلاة والسلام يصف ويقول :

((مَنْ أَصْبَحَ حَزِينًا عَلَى الدُّنْيَا أَصْبَحَ سَاخِطًا عَلَى رَبِّهِ))

[رواه البيهقي في الشعب من حديث أنس رضي الله عنه]

وسيدنا الصديق رضي الله عنه فيما يوصف به بأنه ما ندم على شيء فاته من الدنيا قط ، إطلاقاً، لكن الحزن هنا ليس على الدنيا بل على دينه ، صلى صلاة فلم تعجبه صلاته فصار حزيناً ، جلس ليقراً القرآن فلم ينشرح صدره له فصار حزيناً ، أراد أن يفعل صالحاً ففاته هذا العمل الصالح فصار حزيناً ، قرأ القرآن رأى آيات المؤمنين لم ير أنها تنطبق عليه تمام الانطباق فأصبح حزيناً ، ذهب إلى العمرة والحج فلم تكن أحواله عند الطواف وعند السعي كما يصف العلماء الطواف والسعي ، فصار حزيناً ، أي حزنه يأتي من شعوره بالتقصير ، من خوفه على مصيره ، من خوفه ألا يكون عند الله مقبولاً ، يعمل العمل الصالح ويخشى أن يكون فيه رياء ، يحزن ، لعلني أردت به السمعة والرياء ، لعل الناس إذا مدحوني ارتحت لهذا المديح ، فاستغنيت به عن فضل الله عز وجل ، هذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام : " إن الله تعالى يحب كل قلب حزين " أي قلبه لين ، كثير العطف والرحمة ، منكسر من خشية الله ، مهتم بأمر دينه ، خائف من تقصيره ، وقد شرح بعضهم هذا الحديث بأن الله تعالى يحب كل قلب تخلق بأخلاق المعرفة ، أي إذا عرفت الله ، قلبك يخاف منه ، ويرجوه ، ويحبه ، ويستحي منه ، ويسعى لمناجاته والاتصال به ، أعمال قلب المؤمن يحبها الله عز وجل .

((من سرته حسنته وسأته سيئته فذلکم المؤمن))

[أحمد والترمذي الحاكم عن عمر رضي الله عنه تصحيح السيوطي : صحيح]

جلس في مجلس وكان الحديث لا يرضي الله ، لما لم أقم ؟ لماذا بقيت معهم ؟ يحاسب نفسه ، وقد أنتى الله عز وجل على النفس اللوامة قال :

﴿لَا أُفْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُفْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ﴾

[سورة القيامة : ١ - ٢]

بعض العارفين ناجى ربه فقال : يا رب طهرت بدني بالماء فبم أطهر قلبي ؟ فوقع في قلبه أن طهره بالحزن ، لأن الحزن يطهر القلب ويجعله صافياً ، والقلب الذي لا حزن فيه كالبيت الخرب ، الحزن المقدس ليس الحزن على الدنيا ، فاتك هذا البيت ، فاتتك هذه الصفة ، هذه الفتاة خطبت سبقك أحدهم إليها ، هذا الذي يحزن على شيء فاته من الدنيا ليس ممدوحاً عند الله عز وجل ، بل إن النبي يذمه ، مَنْ أَصْبَحَ حَزِينًا عَلَى الدُّنْيَا أَصْبَحَ سَاخِطًا عَلَى رَبِّهِ .

قال بعضهم : رأيت الإمام الأوزاعي قلت له : دلني على عمل أقترب به إلى الله تعالى ؟ فقال الإمام الأوزاعي : ما رأيت درجة أرفع من درجة العلماء ، ثم المحزونين ، أي أنت تلقيت العلم ، أجريت موازنة بين ما تسمع وبين واقعك رأيت هنالك مسافة ، هذه المسافة تجعلك حزيناً باستمرار ، ليست هذه هي الصلاة ، تصلي ولا تعجبك صلاتك ، تقرأ القرآن لا ترى أنك تقرؤه

بوقر ، تشعر بالحنن ، فحينما تستمع إلى وصف إنسانٍ مؤمنٍ تقيٍّ ، وحينما تعاین نفسك ، ترى مسافة بين الواقع والوصف وهذا الذي يورث الحزن .

الأخذ بالرخص :

أيها الأخوة الأكارم ؛

((إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه ، كما يكره أن تؤتى معصيته))

[أحمد وابن حبان والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنه تصحيح السيوطي : صحيح]

فالرخصة تسهيل حكم شرعي بعذر ، كأن تقصر من الصلاة في السفر ، وكأن تفتقر في رمضان إذا كنت مريضاً ، هذه الرخصة ، هناك من يترفع أن يأخذ بالرخص ، قال العلماء : إن أخذ الرخصة يدفع الكبر عن النفس ، فكل من ترفع عن استباحة شيء أباحه الشرع فقد ترفع عن الشرع ، ومن أنف إباحة الشرع وترفع عنه فقد فسد دينه ، فلذلك يكاد العلماء يرون أن الأخذ بالرخصة واجب ، لأنه يدفع عن النفس كبرها ، ويدفع عن النفس استعلائها ، ولأن هذا العبد قبل من الله الرخص التي أجازها له ، فهذا تواضع ومعرفة وعبودية لله عز وجل ، أما الإمام الغزالي فله رأي آخر يقول : إن الرخص التي رخص الله بها لعباده المؤمنين هي في حقيقتها أو من بعض معانيها .

هناك طلاب ضعاف لا يصلون لهذه الدرجات العليا ، لذلك يدعون الدراسة كلها، فتطيباً لقلب الضعاف قبلنا منهم أن ينجحوا بعلامات متوسطة ، فإذا جاءت الرخص من الله عز وجل فهناك حكمة بالغة وهي تطيب لقلب الضعفاء ، ودفع لهم للسعي في طلب مرضاة الله عز وجل لئلا يتركوا الخير كله إذا طولبوا بمنتهى الخير .

أيها الأخوة الأكارم ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيخطى غيرنا إلينا ، فلنخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

دلالة إلهية عن طريق النبي على أعمال إذا فعلتها أحبك الله :

أيها الأخوة الأكارم ؛ لسان حال كل مؤمن : يا رب دلني على عمل يرضيك ، دلني على عمل تحبني به ، دلني على عمل أبتغي عندك الرفعة ، دلني على عمل أنجو به من عذاب الدنيا والآخرة ، فالنبي عليه الصلاة والسلام وهو الصادق المصدوق هو الذي يدل على هذه الأعمال ، أي هذه الخطبة كلها في حقيقتها دلالة إلهية عن طريق النبي عليه الصلاة والسلام على أعمال إذا فعلتها أحبك الله ، لذلك أذكركم بهذه الأحاديث ، وأتلوها عليكم تلاوةً . " إن الله تعالى يحب أهل البيت الخصب " أي إذا كان صاحب البيت قد وسع الله عليه ، عليه أن يوسع على عياله ، وعلى جيرانه ، وعلى ذوي قرابته ، وعلى ذوي الحاجات .

" إن الله تعالى يحب الناسك النظيف " ، " إن الله تعالى يحب كل قلب حزين " ، " إن الله تعالى يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال " ، " إن الله تعالى يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال " . والحديثان الأخيران :

((إن الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم ، حتى في القبل))

[ابن النجار عن النعمان بن بشير تصحيح السيوطي : ضعيف]

إذا كنت ترضو الله عز وجل واليوم الآخر ، فهذا مما يرضي الله ، أن تعدلوا بين أولادكم ، حتى في القبل ، وحينما قال النبي الكريم : تعدلوا بين أولادكم ، نسأل : في ماذا يا رب؟ يا رسول الله في ماذا ؟ لن يذكر في ماذا وإذا لم يذكر في ماذا ففي كل شيء ، هذه قاعدة: إذا افتقر الفعل إلى مفعول به فقد أطلق ، وإذا افتقرت الجملة إلى فصلة تنتمها فقد أطلقت ، إن الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم ، لو قال في الميراث ، لو قال في العطاء ، لو قال في الهبات ، قيد ، إن الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم ، ومادام النبي عليه الصلاة والسلام وهو سيد البلغاء لم يقل في ماذا إذا العدل واجب في كل شيء ، أخذت لهذا الولد بيتاً خذ للثاني بيتاً ، أعطيت لهذا مركبة ولهذا مركبة ، أعطيت لهذا مبلغاً من المال ولهذا مثله ، أتيت على فلان وقربته منك وأبعدت فلاناً ، نشأت العداوة والبغضاء ، إن الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم ، حتى في القبل . والحديث الأخير :

((إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرفها ويكره سفاسفها))

[الطبراني عن الحسن بن علي ، تصحيح السيوطي : حسن]

فمعالي الأمور هي الأخلاق الرضية والخصال الدينية لا الدنيوية ، لأن العلو في الدنيا نزول ، ولن تعلق إلا إذا كنت مع الله ، ولن تعلق إلا إذا كان عملك طيباً يرضي الله عز وجل ، فمن اتصف بالأخلاق الذكية أحبه الله ، ومن اتصف بالأخلاق الكريهة الرديئة كرهه الله ، وشرف النفس صونها عن الرذائل والدنايا والمطامع القاطعة لأعناق الرجال ، وليس المراد من أن تبتغي العلو ، الأعمال العالية التي تعلق بها على الناس ، هذا ما يفسدها ، ولكن تعلق بها عند الله عز وجل .

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت، وقفنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ولا تهلكنا بالسنين ، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين